مصطفى كمال وموسوليني

كيف أجاب بطل تركيا على تهديد بطل ايطاليا

منذ بضعة أسابيع وقف دكتاتور ايطاليا وباعث نهضتها ليلقى خطبة من خطبه النارية على شباب ايطاليا الفاشيست ليزيدهم حماسة ووطنية فوق ما خلق فيهم منها كما هى عادته منذ أن تقلد زمام أحفاد الرومان ، فرأى أمامه بحراً زاخراً من ذوى القمصان السود وكلهم ممتلئون حرارة وحماسة ، ومتعطشون لليوم الذى تتاح لهم الفرصة فيه لأبراز مقدرتهم الجسمانية ، ومهارتهم فى فنون الحرب والفروسية ، فغره ذلك : نعم ، غره الدوتشى ذلك الجمع المحتشد وتلك الصفوف المتراصة ، الثابتة كالبنيان . وخيل اليه فى تلك اللحظة أن العالم كله قد ارتدى القمصان السود وجاء ليقدم آيات الخضوع وفروض العبودية لموجد ايطاليا الأوحد ، ليزداد كبراً على كبريائه

وهنا لعب الغرور دوره وزلت بموسوليني القدم زلة سياسية

التى يخبرونها بأنفسهم ويرونها بعيونهم ، فما كدنا ننتهى من نقل مقالة العالم المتقدمة حتى قرأنا حكاية لضابط انجليزى خواها أن بعض الأقوام الذين يعيشون حول بحيرة البرت نيانزا فى أعالى النيل يقدسون التمساح ويقدم كاهنهم قرباناً له من آن الى آن — فتاة صغيرة من فتياتهم لردّ غضب الآلهة اذا أنسوا غضبها

وقد روى هذا الضابط أنه أنقذ فتاة أعدت طعاماً للتمساح المقدس بترويع التمساح من غير أن يلحق به أذى . وأرسلها الضابط الى مكان بعيد تشفى فيه من الروع الذى أصابها

وفى اليوم التالى علم الكاهن بما صنع الضابط فجاءه معاتباً وقال له فى جملة ما قال :

« أتظن الفتاة تنال الشفاء . لن يمضى عليها شهر من هذا التاريخ حتى تموت » . وكان ما قال الكاهن

وقد روى الضابط ما حدث وعلق عليه بقوله : « ومما كان سيئاً فى أسفى أنه مع كل ما بذل من الجهد لشفاء الفتاة ماتت فى خلال شهر كما أنبأ الكاهن . أفكان موتها من لعنة الآلهة أم من تأثير الروع ؟ ذلك ما لا يستطيع أحد معرفته » !

ه . مه

فظيعة . أجل ، فقد أوحى الغرور الى هذا الجبار أن يميط اللثام عن أمور كان حريصاً على كتمانها حتى تلك اللحظة حرصه على حياته .. فأشار فى سياق كلامه الى رجاله ، شباب ايطاليا الحاضرين ساعتئذ ، ان أرض القياصرة لم تعد تسعهم وأن عليهم بعد الآن أن يتطلعوا بأبصارهم نحو الشرق ونحو الجنوب . . .

(تلك البلاد التى غدا أحقر علوج الغرب يمني النفس بالسيادة عليها ؟ ! . .)

* * *

لقد غفل عن نفسه موسوليني هذه المرة وارتكب فى غفلته هذه خطأ سياسياً لا يمكن تلافيه بالسهولة التى كان ظنها . ذلك انه قد تحرش وبالأحرى صوب سهام كلامه ، بقصد أو بغير قصد لذلك الذى أثبت مراراً لأوربا ، المفتونة بنارها وحديدها ، انه مستعد دائماً وأبداً لأن يعطيها درساً جديداً أقسى وأمرّ من كل الدروس القاسية التى أعطاها اياها فى الماضى القريب فقط . . .

وما كاد الأثير يحمل صدى هذه الخطبة الى قاعة مجلس الأمة الكبير ويوصله الى آذان جبار تركيا العتيد ، حتى أوعز الى سفيره فى روما أن يقابل الدكتاتور ويستوضحه عن كلمة «الشرق» التى قالها وأومأ اليها فى عرض خطبته تلك . وما كاد موسوليني يعلم ان سفير تركيا يريد مقابلته حتى انتبه للغلطة التى وقع فيها . فأسرع للقاء الوزير وأكد له بأنه ليس إلا محباً لتركيا ومعجباً بفتوحها الأعظم . ولم يقصد قط الأراضى التركية فيما أراد من « الشرق » فى خطبته . وانه لا يضع تركيا فى مصاف الأمم الشرقية ، بل يعتبرها دولة أوربية من صديقات ايطاليا . . .

فبمثل هذه التأمينات ظن موسوليني انه يستطيع اليوم أن يلعب مع الكماليين (أو ليسوا هم فى الحقيقة شرقيين أيضاً ؟ ؟) الدور الذى لعبته ايطاليا بالذات مع حكومة « الباب العالى » فى حرب طرابلس وبنغازى بالأمس القريب ، فلذا شعر كأن الكابوس الذى ضايقه من يوم إلقائه الخطبة المذكورة — وربما كان لأول مرة فى حياته الدكتاتورية — قد زال بانصراف سعادتك من لدنه ، وفوجئ على حين غرة بضربات سياسية قوية متتالية من منقذ تركيا العظيم

* * *

قلنا لم يكد موسوليني يضحك من تحت شاربيه الحليقين بعد

انصراف الوزير الشرق حتى ذهل ووقف واجماً ، اذ علم أن قيامة الجيش التركى قد قامت ، ذلك الجيش الذى لم تكن كتائبه قد تنفست بعد من غمار الحرب الكبرى فى وجه أوربا العانية ، قبل عشر سنوات فقط ، وهددت جيوش أقوى دول العالم على أبواب الآستانة فى الوقت الذى كان قد خيل الى العالم أن حملة الـ « آل سنجاق » (العلم التركى الأحمر) قد أصبحوا فى خبر كان ودخلت سلطنتهم وسيادتهم فيما قدر لها من صفحات التاريخ . .

وقف اليوم هذا الجيش اللجب ، الشاب القوى ، المزود بأحدث معدات الحرب الآن ، وقف ليستعرضه وليرد له تحياته العسكرية الصميمة المشير « الغازى مصطفى كمال باشا » ، قائده العام بالأمس القريب — يوم أن كانت الأرض غير الأرض والسماء غير السماء فى الجبهة الغربية من بلاد الأناضول — ورئيسه الأعلى اليوم الذى أخذ يزور الأماكن التى قد يغر ضعف فى استحكاماتها أو عدم اعتناء فى حراستها من يسوقه سوء حظه من جيوش الغرب إلى أن يشتبك معها . .

وعلى أثر عودة الغازى الى الآستانة من طوافه لغرب الأناضول ومن استعراضاته لحماة سواحل تركيا الغربية والجنوبية دوى فى قاعات عصبة الأمم والقاعات السياسية الأخرى فى أوربا خبر التوقيع على معاهدة أصبحت بموجبها دول البلقان — كلها تقريباً — كتلة واحدة بزعامة سيدة البوسفور ، وأعقب ذلك اتفاق بين فرنسا وروسيا السوفيتية حليفة تركيا القوية . ومن ثم اعتراف شبكة بلقان بروسيا نتيجة للمساعى التى بذلها فى ذلك السبيل توفيق رشدى بك (ساعد الغازى السياسى) . .

وليس هذا كل ما فعله الأتراك على أثر غلطة « الدوتشى » الزعيم الايطالى الأعلى ، تلك الغلطة التى القت فى يد الكماليين سلاحا قوياً ليستعملوه الى أقصى حد ممكن ؛ فرصة انتهزها الأتراك واستغلوها لصالحهم الى أبعد الحدود المستطاعة . .

أمر داهية تركيا أن يخصص فوراً — بحجة الخوف من غارة ايطالية — ثلث الميزانية العامة لهذه السنة لاعلاء شأن الدفاع القومى ؛ وأوصى اليابان — صديقته الجديدة — بصنع بوارج وغواصات ونسافات وطرادات وغيرها من معدات القتال البحرى ، كما أوعز فى الوقت نفسه الى وزير خارجيته وممثله فى عصبة الأمم أن يطلب الى ممثلى الدول أن يأذنوا لتركيا لتلحق القسم المعتل الوحيد من معاهدة لوزان بامثاله من مجموع فصول معاهدة (سيفر) التى كان توقيع الكماليين عليها قد جرى ، لا كما جرى عليها توقيع باقى دول الاتفاق الرباعى ، انما برؤوس الحراب المسمومة التى مزقتها إرباً إرباً وقبرتها فى مهدها فيما يتعلق بتركيا ، بينما ألمانيا الهتلرية الآرية العظيمة لاتزال الى يومنا هذا تعمل المستحيل للتخلص من بعض أغلال تلك المعاهدة . وعلى ذلك تقدم ممثل تركيا الى مجلس جنيف وأبلغ أعضاءه رغبة الأمة التركية فى تحصين المضايق وتسليحها ، اذ أن هذا القيد الوحيد الذى أجبرت ظروفه الدقيقة تركيا أن ترتضى به كتذكار — وقتى على الأقل — لمعاهدة لوزان التى اعترف فيها باستقلال تركيا المطلق ، لم يعد الآن يقوى على نمو ساعد تركيا الفولاذى

إن هذا القيد قد أكله الصدأ وتصدع من جوانبه كلها ، ولا يلبث حتى يتفتت من تلقاء نفسه إن لم يسرع ممثلو الدول فى التقاط أوصاله التى ستتطاير فى القريب ليحتفظوا بما ضحوا فى الدردنيل . .

(ولو أن السير جون سيمون صرح حديثاً وهو ، مسرور ، فى مجلس العموم «أن توفيق رشدى بك قد وعده أخيراً بأن تركيا سوف لاتصر على هذا الطلب فى الوقت الحاضر ؟ ! . .)

* * *

وها هى ذى الأسلاك أخذت تنبئنا الآن بأن صاحب الجلالة رضا شاه پهلوى امبراطور ايران العظيمة قد ترك بلاده لأول مرة فى أيام حكمه ، واجتاز الحدود التركية ووصل بموكبه الشاهانى المؤلف من (٤٠) وزيراً وقائداً واختصاصياً ومرافقاً الى (أنقرة) عاصمة الكماليين ، محروساً طول الطريق بقوات مضيفه من البر والبحر والجو ، ومستقبلاً ومشيعاً حيث ما مر من بلاد جارته العزيزة بهتاف الشعب التركى بحياة جلالته الغالية ، وذلك اجابة منه لدعوة بلغته من زميله الحاكم الشرقى الكبير ، وجاره القوى العزيز ، الذى اقام على انقاض حكومة (الرجل المريض) البائدة ، هذا الصرح الشامخ ، وهذا السد المنيع فى وجه أوربا كلها ، والذى دعاه ليرتبط واياه بروابط ستهلع لها قلوب الكثيرين من طغاة أوربا المتجبرين . ومن بينها ، على كل حال قلب